



موقف الدكتور عمر سليمان الأشقر من الصوفية

د. صالح حسين الرقب - غزة العزة

الأمة المسلمة من عثارها في الماضي؛ بل كان من أسباب البلاء الذي أصاب الفكر الإسلامي، وقد أحدث شرخاً هائلاً في هذا الفكر، فعلماء الكلام قد أحدثوا في ماضي المسلمين من الخلاف والفرقة والانقسام ما يكفي بعضه لهجر هذا المنهج، وأما المنهج الصوفي فقد أقعد المسلمين عن الجهاد في سبيل الله تعالى، ومحاربة الشرور والمنكرات، وكان أيضاً من أسباب الضياع الذي أصاب المسلمين^(٤)، وأنه لم يفلح المنهج الصوفي في إصلاح حال الأمة الإسلامية، ولم يستطع أن يصد الهجمات الفكرية والعقائدية لخصوم أعداء الإسلام، فأحرى به أن لا يستطيع إصلاح حال الأمة في الحاضر، وأن لا يستطيع مواجهة العقائد الضالة التي ظهرت بقوة في القرن العشرين في كثير من بلدان العالم^(٥). قلت: ومن يطالع كتب الصوفية ويدرس واقع المتصوفة اليوم يدرك دورهم في إشاعة الشريكيات والانحرافات العقدية، ونشر الخرافات والبدع في المجتمعات التي يوجدون فيها. وقال رحمه الله: قد قال الرسول ﷺ: «ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة»، وعندما سئل عن الفرقة الناجية المنصورة قال: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»^(٦)، ومنهج هذه الفرقة الناجية المنصورة هو المنهج الإيماني القرآني النبوي، الذي يختلف عن منهج الصوفية. فالمنهج القرآني النبوي يختلف عن المنهج الصوفي في مصادره ومنابعه، وفي طريقه وسبيله، وفي قوة تأثيره وسيطرته، وفي الأسلوب وطريقة الاستدلال، وفي الغاية التي يرمي إليها. وقد حارب أئمة السلف الاتجاه الصوفي الذي يريد أخذ الأمة بعيداً عن المنهج الإيماني القرآني النبوي، فحارب

قام الشيخ د. عمر سليمان الأشقر، رحمه الله تعالى، بجهد علمي في بيان العقائد والأفكار الفاسدة، وخطورتها على العقيدة الصحيحة، وقد عبّر عن خطورة هذه العقائد ودور العلماء تجاهها فقال: «ونحن اليوم ورثنا عن المدارس الفكرية والعقائدية شيئاً كثيراً من الأفكار والمعتقدات، ووجدت في أيامنا هذه معتقدات جديدة في الشرق والغرب، وقد غزت ديارنا وعقولنا ومناهجنا فماذا نفعل؟ وكيف نتصرف؟ لقد كان من فضل الله علينا أن حفظ لنا قرآننا وسنة نبينا»^(٧).

ولقد حذر د. عمر الأشقر رجال الفكر من خطورة ما يقوم به المستشرقون من إحياء المعتقدات الصوفية المنحرفة، المتمثلة في «وحدة الوجود» كما في مؤلفات: ابن عربي، والحلاج، وابن الفارض، وابن سبعين وغيرهم من فلاسفة الصوفية^(٨). اختلاف المنهج القرآني النبوي عن المنهج الصوفي:

يقول د. الأشقر: «ومن المناهج المخالفة للمنهج الإسلامي المنهج الصوفي الذي يغرق في التَّعبُد، ويستحدث أنماطاً من العبادات لم يشرعها الله تبارك وتعالى. وقد نهى رسول الله ﷺ عن هذا المنهج. في سنن أبي داود عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «لا تُشَدُّوا على أنفسكم فيشدُّ عليكم، فإن قوماً شَدَّدُوا على أنفسهم، فشدد الله عليهم». وقد قَوَّم الرسول ﷺ توجه كثير من أصحابه الذين أرادوا قيام الليل كله، وصيام الدهر أبداً، أو أرادوا الانقطاع إلى العبادات واعتزال النساء أو تحريم اللحم، وبين لهم أن ذلك كله مخالف لسنة ﷺ، وأن مَنْ رَغِبَ عن سنته فليس منه»^(٩). ورأى الشيخ عمر أن المنهج الصوفي لم يستطع (أن يقيم

٤- انظر: عدم محاسبة النفس، من دروس د. عمر الأشقر، موقع إسلام ويب.
٥- انظر: العقيدة الصحيحة وما يضادها، ودرس التراث فيه الغث والسمين، من دروسه، موقع إسلام ويب.
٦- رواه الترمذي رقم (٢٦٤١)، وابن ماجه (٣٩٩٣)، وصححه الألباني في سلسلته الصحيحة، برقم (٢٠٤).

١- من دروسه بعنوان: «العقيدة الصحيحة وما يضادها من العقائد الفاسدة»، موقع إسلام ويب.
٢- التراث فيه الغث والسمين والباطل، ضمن رسالة نظرة في تاريخ العقيدة، من دروس: د. عمر الأشقر، ص ١١.
٣- نحو ثقافة إسلامية أصيلة، ص ٩٤.

هذا الاتجاه الإمام الشافعي، والإمام أحمد، والإمام ابن خزيمة، والإمام البخاري وغيرهم من أئمة الهدى^(٧). ولقد نبّه د. الأشقر على بعض انحرافات الصوفية، ومن ذلك:

أولاً: اعتقادهم الباطل في التوحيد الحق

إن الاعتقاد الحق هو الاعتقاد بوحداية الله سبحانه في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، ثم عبادته وحده لا شريك له، لكن حرّف الصوفيّ هذا المفهوم، فزعموا أنّه توحيد العامة، أما توحيد الخاصة عندهم فهو الذي يثبت بالحقائق، وزعموا أن هناك توحيد خاصة الخاصة، وما زعموه هو ضلال وفساد في الاعتقاد^(٨). وقد ذهب إلى هذا التقسيم أبو حامد الغزالي، فقال: «فإن» «لا إله إلا الله» توحيد العوام، «ولا إله إلا هو» توحيد الخواص، لأن هذا أتم وأخص وأشمل وأحق وأدق وأدخل بصاحبه في الفردانية المحضة والوحدانية الصرفة، ومنتهى معراج الخلائق مملكة الفردانية. وليس وراء ذلك مرقى.....^(٩).

ثانياً: زعم الصوفيّة أنّ الولاية أفضل من النبوة

ذكر الشيخ الأشقر هذا العنوان في كتابه الرسل والرسالات (الزعم بأن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء)، ثم قال: «وزعم بعض المتصوفة أن الولاية أفضل من النبوة، وزعم هؤلاء أنّ خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء، ومن هؤلاء الذين زعموا هذا الزعم الباطل الحكيم الترمذي، وابن عربي القائل بوحدة الوجود، وهؤلاء كذبوا فيما ذهبوا إليه، فلم يرد في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ أن هناك خاتماً للأولياء، ولم يرد أنّه أفضل من غيره من الأولياء، فضلاً عن أن يكون خيرهم، ولم يتكلم في هذه المسألة أحد من الذين لهم باع في العلم ممن يقتدى ويتأسى بهم. وأصل غلطهم أنّهم نظروا فوجدوا أنّ محمداً ﷺ خاتم الرسل، وأفضل الرسل، فقالوا: هو أفضلهم لأنّه آخرهم، وهذا فاسد فالتأخر والتقدم ليس عليه مدار التفضيل، ولذلك كان إبراهيم متقدماً وهو أفضل من موسى، وإبراهيم وموسى متقدمان، وهما أفضل من عيسى، وصحّ عن الرسول ﷺ أن أفضل هذه الأمة صحابته الذين كانوا معه، ولو أنّ المسلم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه، وثبت عنه أنه قال: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»^{(١٠)(١١)}. وقد قال:

٧- الدرس رقم ١١ من دروسه الصوتية، قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية: <http://www.islamweb.net>

٨- العقيدة في الله، د. الأشقر، هامش ص ٢٥٣.

٩- مشكاة الأنوار، أبو حامد الغزالي، حققها وقدم لها د. أبو العلا عفيفي، الدار القومية للطباعة والنشر، ص ٦١. وانظر قريباً من ذلك، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، ٣٣/١، ٣٤. وانظر: الرسالة القدسية في توحيد العامة والخاصة، للصوفي علي بن عبد الله الششتري النيميري الأندلسي.

١٠- متفق عليه، البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

١١- الرسل والرسالات، د. الأشقر، ص ٢١٥. انظر: اعتقاد الصوفية في تفضيل وليهم على النبي

د. عمر سليمان الأشقر

ولد بقرية برقاً بفلسطين سنة ١٩٤٠م

غادرها للسعودية وهو فتي سنة ١٩٥٣م، فتتلمذ على عدد من العلماء منهم أخويه عبد القادر ومحمد، والشيخ ابن باز.

درس في كلية الشريعة بالرياض، ثم انتقل مع الشيخ ابن باز للمدينة المنورة وعمل أميناً للمكتبة بالجامعة الإسلامية، وأكمل دراسته في كلية الشريعة بالرياض انتساباً.

انتقل للعمل بالكويت سنة ١٩٦٥م، وساهم هناك في النهضة العلمية الشرعية بالتعاون مع الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق.

حصل على الماجستير سنة ١٩٧٤م والدكتوراة سنة ١٩٨٠م من الأزهر.

عاد للأردن سنة ١٩٩٠م، فدرس بالجامعة الأردنية ثم جامعة الزرقاء، وبقي حتى وفاته سنة ٢٠١٢م. كما أن الشيخ يعد من مؤسسي حركة حماس، ورئيس مجلس الشورى بها لعشر سنوات.

ثالثاً: مصادر العقيدة عند الصوفية

وتحت عنوان: (مصادر العقيدة) قال د. الأشقر: «أما الصوفية فيقولون: ليست هناك حاجة إلى قرآن ولا إلى حديث، بل مصدرهم: (حدثني قلبي عن ربي)، أو (أنا أعرف ربي بقلبي)^(١٢).

رابعاً: عبادة الصوفية

انتقد الدكتور عمر الأشقر عبادة الصوفية القائلين: ما عبدنا الله تعالى خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته! ويؤمن أن هؤلاء أضروا بالناس ضرراً كبيراً. حيث أدى بهم عدم الاهتمام بالجنة التي أعدت للمتقين، والنار التي أعدت للعاصين، ففترت عزائمهم، وضعفت نفوسهم، وأصبحوا لا يتقبلون المواعظ، وتركوا العمل بما يحبه الله ويرضاه. فقال: «نحن بحاجة إلى أن نعلم أن آيات القرآن امتلأت بذكر الوعيد، وبذكر ما يناله المؤمنون في الدنيا وفي الآخرة وما يناله الأتقياء والصالحون، فهذا ليس عبثاً، وتكوين الإنسان بهذا الشكل ليس عبثاً، والذين حاولوا أن يغفلوا هذا الأمر أضروا بالمسلمين ضرراً بالغاً، مثل الصوفية الذين يقول قائلهم: ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك! فالذين ما عبدوه لأجل هذا، أضروا بالناس ضرراً كبيراً، وأصبح بسطاء المسلمين يحاولون أن يصلوا إلى هذه المثالية المزعومة فيجدون نفوسهم تأبى ولا تستطيع أن ترتفع حتى لا تطلب جنة ولا تهرب من نار، ثم إذا أهملوا الجنة وأهملوا النار ففترت عزائمهم، وضعفت نفوسهم، وأصبحوا لا يتقبلون المواعظ، وتركوا العمل. فهذا أحدث شرخاً في تاريخ المسلمين وفي نفوسهم، وهذا مناقض لمنهج الله سبحانه وتعالى، فلو عقلوا لما اختاروا شيئاً ما اختاره الله سبحانه وتعالى لهم، أما المنهج الذي يصف الله به رسله وأنبياءه والصالحين وأمر عباده أن يسلكوه وبصّرهم به:

١٢- كتاب مكتوبات الإمام الرباني أحمد الفاروقي السرهندي، ص ٣٣، ١١٤. والسرهندي من مشايخ الطريقة النقشبندية.

١٢- الدرس رقم ٢٤. من دروسه الصوتية. وهذه المقولة موجودة في كتب الصوفية، منها: الفتوحات المكية لابن عربي ٣٦٥/١، وقد نسبها لأبي يزيد البسطامي، وتنبيه المغترين للشعراني ص ١٣٦. ولطائف المنن للشعراني ١٤٥/١.



جهال المسلمين وأهل الزيغ والزندقة»^(١٥).

هو أن يعبد الله بالخوف والرجاء، وما ذلك إلا لأن الإنسان بغير هذا لا يندفع إلى العمل الصالح»^(١٦).

سادسًا: القول بفناء النار

تحت عنوان: - القائلون بفناء النار- في كتابه (الجنة والنار)، قال د. الأشقر: «والمخالفون لمذهب أهل الحق في هذه المسألة سبع فرق»: وذكر منهم الصوفية، «قول إمام الاتحادية ابن عربي الطائفي، فإنه زعم أن أهلها يعذبون فيها مدة، ثم تنقلب طبائعهم نارية يتلذذون بالنار لموافقتها لطبائعهم، قال ابن حجر في الفتح: «وهذا قول بعض من ينسب إلى التصوف من الزنادقة»^(١٧).

الخاتمة:

بذل الشيخ جهدًا علميًا متميزًا في التأصيل لمذهب السلف في العقيدة، والكشف عن الآراء الرائفة، والفرق الضالة كالصوفية. حيث بيّن رحمه الله تعالى فساد منهجهم واختلافه عن المنهج القرآني النبوي، لذلك لم ولن يفلح في صلاح أحوال الأمة، فمعظم الكتب والمصادر الصوفية، وكذا الفرق والطرق الصوفية تنضج بالأقوال والآراء الضالة المضلة، والمعتقدات الكفرية، وقد ذكر الشيخ الأشقر نماذج منها.

خامسًا: إباحة المحرمات، وإسقاط الواجبات، ورفع العقوبات

في كتابه (القضاء والقدر) نقل د. الأشقر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عن حال الصوفية: «الذين اعترفوا بالقضاء والقدر، وزعموا أن ذلك يوافق الأمر والنهي، فهؤلاء يؤول أمرهم إلى تعطيل الشرائع والأمر والنهي، مع الاعتراف بالربوبية العامة لكل مخلوق، وأنه ما من دابة إلا ربي أخذ بناصيتها، وهذا هو الذي يبتلى به كثير - إما اعتقادًا وإما حالاً - طوائف من الصوفية والفقراء حتى يخرج من يخرج منهم إلى الإباحة للمحرمات، وإسقاط الواجبات، ورفع العقوبات»^(١٨).

وقال تحت عنوان: (التاركون للعمل اتكالاً على القدر): «ضل فريق آخر في باب القدر فقالوا: إذا كان الله عالمًا بكل شيء نفعله، وعالمًا بمصيرنا إلى الجنة أو النار، وكان هو الخالق لأفعالنا، فلماذا نعمل وننصب؟ ولماذا لا نترك الأقدار تجري في أعيننا، وسيأتينا ما قدر لنا شأنًا أم أبينا. وقد تعمقت هذه الضلالة عند طوائف من العبادة والزهاد وأهل التصوف، ولم تقله طائفة واحدة بعينها من طوائف أهل المقالات، وكان ولا يزال هذا القول على ألسنة كثير من

١٥- القضاء والقدر، ص ٧٢. وقال: راجع مجموع الفتاوى، ٥٩/٨، ٩٩، ٢٥٦.
١٦- الجنة والنار، ص ٤٤.

١٣- المصدر السابق.
١٤- القضاء والقدر، ص ٧٤. وانظر قول ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ٢٥٦/٨.